

جامعة الملك فيصل
عمادة التعلم الإلكتروني والتعليم عن بعد



نظام التعليم المطور للانتساب
اسم المقرر: نظرية المعرفة

د/ محمد بن عبد الحميد القطاونة

١٤٣٥ هـ

إعداد

بنت نجد ١٢٣

www.ckfu.org

(مقدمة في نظرية المعرفة ، تعريفها ، أنواع المعرفة)

مقدمة :

إن نظرية المعرفة هي التي يتم من خلالها تحديد موقف الإنسان من الحقيقة، ومنهج في الوصول إليها والمصادر التي تمكنه منها ونحو ذلك. وهذه النظرية احتلت مكاناً أولياً في الفلسفة الغربية المعاصرة بصفتها عتاد الفيلسوف في مباحثه الأخرى، بل إن كثيرين يرون أن نظرية المعرفة هي الفلسفة إذا أُريد بالفلسفة أنها بحث علمي منظم.

والفكر الغربي أخذ في دراسته لهذه النظرية صبغة التحلي عن الدين وإقصاء تعاليمه أو حصره في جانب من محدود من حياة الإنسان الشخصية يلي بعض مطالبه وأشواقه الروحية،

كما دعا هذا الفكر إلى عدم اعتبار الوحي مصدراً للمعرفة يصلح أن تقوم على أساس منه مناهج العلوم وحركة التقدم الحضاري.

وقد غزا هذا الاتجاه الفكري الغربي ثقافة المسلمين فظهرت نزعات فكرية تخالف العقيدة الإسلامية، لذا كان من المستحسن دراسة هذه النظرية وبيان الموقف منها وفق المنظور الإسلامي.

نظرية المعرفة تعريفها ونشأتها أ- المعرفة لغة لها عدة إطلاقات، من أهمها:

تطلق كلمة المعرفة على كل ما وصل إلى إدراك الإنسان من تصورات، مثل المشاعر، أو الحقائق، أو الأوهام، أو الأفكار، التي قد تسهم في التعرف على البيئة من حوله والتعامل معها، أو قد لا تسهم، أو تضر به.

- ولها عند القدماء عدة معان: منها إدراك الشيء بإحدى الحواس، ومنها العلم، مطلقاً تصوراً كان أو تصديقاً، ومنها إدراك البسيط سواء كان تصوراً للماهية أو تصديقاً بأحوالها، ومنها إدراك الجزئي سواء كان مفهوم جزئياً أو حكماً جزئياً، ومنها إدراك الجزئي عن دليل، ومنها الإدراك الذي هو بعد

الجهل

المعرفة في اللغة: مصدر من عرف يعرف، فهي عكس الجهل .

المعرفة اصطلاحاً: يمكن تعريفها بأنها "مجموعة من المعاني والمفاهيم والمعتقدات والأحكام والتصورات الفكرية التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولاته المتكررة لفهم الظواهر والأشياء المحيطة به "

المعرفة عند المحدثين :

الأول هو الفعل العقلي الذي يتم به حصول صورة الشيء في الذهن سواء كان حصولها مصحوباً بالانفعال أو غير مصحوب به، وفي هذا المعنى إشارة إلى أن في المعرفة تقابلاً واتصالاً بين الذات المدركة والموضوع المدرك. ونظرية المعرفة التي سنتكلم عنها فيما بعد تدرس المشكلات التي تثيرها علاقة الذات بالموضوع .

الثاني هو الفعل العقلي الذي يتم به النفوذ إلى جوهر الموضوع لتفهم حقيقته، بحيث تكون المعرفة الكاملة بالشيء في الواقع .

النظرية لغة: من نظر بمعنى بَصُرَ وفكّر وتأمّل وعليه فالكلمة تستعمل في المعاني الحسية والعقلية ، فيقال: (نظر إلى الشيء نظراً) إذا أبصره وتأمّله بعينه . كما يقال: (في هذا نظر) أي أنه مازال في مجال التفكير لعدم وضوحه.

والنظري مقابل العملي. **النظر اصطلاحاً:** هو الفكر الذي تطلب به المعرفة.

مصطلح نظرية المعرفة: هي النظرية التي تبحث في مبادئ المعرفة الإنسانية وطبيعتها ومصادرها وقيمتها وحدودها.

أي هي بحث في المشكلات الناشئة عن العلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعروف، والبحث عن درجة التشابه بين التصور الذهني والواقع الخارجي.

أنواع المعرفة: تشمل المعرفة مجموع المعارف الروحية، والوثنية، والاقتصادية والسياسية، والثقافية والعلمية وغير ذلك، وبالتالي توجد أنواع مختلفة من المعارف فإذا كان إدراجها ضمن فئات معينة قد شابه نوع من الاختلاف بين المفكرين إلا أن هذا الاختلاف يعود بالدرجة الأولى إلى المدرسة الفكرية التي ينتمي إليها صاحبها.

ولذا يمكن تقسيمها عدة تقسيمات أو تسمية عدة أنواع من المعرفة:

((المعرفة العامة، والدينية ، والميتافيزيقية، والفلسفية، والسياسية، والتقنية، والمعرفة العقلية، التجريبية، والتنظيرية، والوضعية، والجماعية، والفردية ... الخ.))

الفروق اللغوية :

- نتيجة للتداخل بين مصطلحي العلم والمعرفة، فلا مندوحة من تتبُّع المصطلحين؛ لضبط الفروق بينهما، ولأن لكل مصطلح علاقة بأصله اللغوي، كان لزامًا علينا الرجوع إلى المعاجم، **فكلمة "علم" قالوا عنها:** "سمي العلمُ علمًا من العلامة، وهي الدلالة والإشارة، ومنه معًا الأرض والثوب. **والمعلمُ:** الأثر يستدل به على الطريق، والعلم من المصادر التي تجمع. **وقال الزمخشري:** "ما علمت بخبرك: ما شعرت به. فيكون بمعنى الشُّعور، والعلم نقيض الجهل، **وقال عنه الفيروزآبادي:** هو حق المعرفة. **أمَّا المعرفة فهي** من العُرْف ضدَّ النكر، والعرفان خلاف الجهل، **وتعرَّفْتُ** ما عند فلان، مصدره **التعرُّف:** تَطَلَّب الشيء، وعرَّفَه الأمر: أعلمه إياه، وعرَّفَه به، وجاء من المصدر "مُعْرِفَة، على غير القياس؛ لفعله الذي هو على وزن "يَفْعَل"

الفروقات بين المعرفة والعلم:

(العلم)	(المعرفة)
إدراك كلي أو مركب	إدراك جزئي أو بسيط
يستعمل في التصديقات التصديق: هو الإدراك المنطوي على حكم (أو إدراك معنى الجملة) ، كالحكم بأن النار محرقة	تستعمل في التصورات التصور: هو الإدراك البسيط لمعاني الأشياء (أو إدراك معنى المفرد) ، كتصور معنى الحرارة والنور والصوت
يستعمل فيما يدرك ذاته ، وحال الإبهام تقول: عرفت زيدًا ولا تقول: علمت زيدًا	تقال فيما يُتوصل إليه بتفكير وتدبر ، وتستعمل فيما تدرك آثاره ، ولا يدرك ذاته ، تقول: عرفت الله ، وعرفت الدار
يقابله في الضد الجهل والهوى	يقابلها في الضد الإنكار والجحود

الشعور: والشعور في اللغة بمعنى علم وفطن ودرى. والمشاعر هي الحواس. **قال الزمخشري:** (وما شعرت به: ما فطنت له وعلمته .. وما يشعركم: ما

يدريكم). **والشعور:** علم الشيء علم حس. والشعور عند علماء النفس: إدراك المرء لذاته أو لأحواله وأفعاله، إدراكا مباشرا وهو أساس كل معرفة.

الإدراك: وهو اللقاء والوصول. فيقال أدرك الغلام وأدركت الثمرة. **قال تعالى:** (قال اصحاب موسى **إنا لمدركون**) (الشعراء: ٧١). فالقوة العاقلة إذا وصلت على المعقول وحصلتها كان ذلك إدراكا من هذه الجهة. ويطلق الإدراك كذلك على مجموعة معان تتعلق بالعلم هي: ما يدل على حصول صورة الشيء عند العقل سواء أكان ذلك الشيء مجردا أو ماديا، أو جزئيا أو كلياً، أو حاضرا أو غائبا.

التصور: وهو حصول صورة الشيء في العقل. كحصول صورة القلم مثلا في الذهن فنحكم على ذلك بأنه قلم، .

الحفظ: يعرفه الجرجاني بأنه ضبط الصور المدركة..

التذكر: الصور المحفوظة إذا زالت عن العقل وحاول الذهن استرجاعها فتلك المحاولة هي التذكر..

الفهم والفقہ: الفهم (تصور الشيء من لفظ المخاطب) الفقه (هو العلم بغرض المخاطب من خطابه) والمتبادر من الفقه تأثير العلم في النفس الدافع للعمل.

العقل: وهو العلم بصفات الأشياء. وقد استعمل القرآن كثيرا كلمة (يعقلون) بمعنى يعلمون.

الحكمة: وللحكمة معان كثيرة. منها: العلم والفقه وما يمنع من الجهل.

مباحث المعرفة الرئيسية:

١ - الوجود (الأنطولوجيا): ويختص بالبحث في الوجود المطلق مثل: ما أصل الكون؟ وما حقيقة النفس؟ .. وغيرها من الأسئلة الميتافيزيقية.

٢ - المعرفة (الأبيستمولوجيا): وتختص بالبحث في إمكانية قيام معرفة ما، وما أدوات تلك المعرفة، وما حدودها وما قيمتها؟ وينبغي التمييز بين نظرية المعرفة كفرع فلسفي يهتم بالمعرفة عموما، والأبيستمولوجيا أو ما يسمى بفلسفة العلوم وهي التي تهتم بقضايا وإشكالات تتعلق بالمعرفة العلمية الدقيقة بوجه خاص .

٣ - القيم (الأكسيمولوجيا) وهو الذي يهتم بالبحث في القيم: قيم الحق والخير والجمال.

(نشأة نظرية المعرفة : عند اليونان ، عند الغربيين المعاصرين ، في التراث الإسلامي)

نشأة نظرية المعرفة :

مبحث نظرية المعرفة طرأت عليه تغيرات وتعديلات أثناء تطور الفلسفة وعبر تاريخها الطويل، فهو ليس وليد عصر معين أو فيلسوف معين، بل هو مفهوم يتطور دائماً.

- أصبحت المعرفة منذ كانت ذات مكانة مركزية في الفلسفة فاقت بما كل جوانب الفلسفة الأخرى
- ومنذ ذلك التاريخ لم تعد الفلسفة معرفة للعالم، بل تفكير في هذه المعرفة بالعالم أو هي معرفة بالمعرفة
- كان أول من لمس لب نظرية المعرفة من الفلاسفة اليونان بحق هو **بارمنيدس**، حيث ظهرت مشكلة المعرفة بمعنى الكلمة عنده.
- ومضى الفلاسفة بعده يُعبّر كل منهم عن وجهة نظر تختلف عن الأخرى، فقد عبّر **إنبادوقليس** عن وجهة نظره في أن الشبيه يدرك الشبيه.

نشأة نظرية المعرفة عند اليونان :

- ✓ وقد ساهم السوفسطائيون بعد ذلك مساهمة قيمة وهامة في توسيع نطاق مناقشة المشكلة وعلى الأخص **جورجيا**، فقد استطاع بكتابه في الوجود أن يتيح لنا النظر نظرة عميقة إلى طريقة وضع مشكلة المعرفة في عصر السوفسطائيين .
- ✓ كان **سقراط** برده على حجج السوفسطائيين هو بحق أول من ميّز تمييزاً فاصلاً بين موضوع العقل وموضوع الحس . بيداً أنّ حلّ سقراط لمسألة المعرفة بقي ناقصاً.
- ✓ وكان على **أفلاطون** استكمالها، فقدم فكرته الأصلية البسيطة التي تمثلت في أن هناك إلى جانب كلّ شيء متغير شيء آخر خالد لا يأتي عليه تبدل وينبغي أن تقوم عليه وحدة المعرفة والسلوك، ومن ثم فلا علم إلا بالكلّي الذي يظل دائماً في ذاته باقياً على ذاتيته، وبذلك ارتبطت نظرية أفلاطون في المعرفة بنظريته في الوجود وفي الأخلاق
- ✓ أدى شغف **أرسطو** بالمعرفة أن انشغل انشغالا شديداً بالبحث في وسائل المعرفة الإنسانية، ومدى ما يمكن أن نصل إليه من خلال هذه الوسائل ومن ثم بحث فيما يمكن أن يؤديه العقل ووجد نفسه أنه قادر على أن يحل ما تعطيه الحواس ويبيّن منه ما يسمى بالمعرفة الإنسانية فالإنسان هو العقل ويستدل وقيس أساساً وليس هو فقط ما يستقرئ

نشأة نظرية المعرفة عند الفلاسفة الغربيين :

- أما الفلاسفة الغربيون فقد كانت نظرية المعرفة ميثوثة لديهم في أبحاث الوجود إلى أن جاء **جون لوك** فكتب " مقاله في الفهم الانساني " "Essay Concerning Human Understanding" المطبوع عام ١٦٩٠م ليكون أول محاولة لفهم المعرفة البشرية وتحليل الفكر الإنساني وعملياته.
- بينما سبقه بصورة غير مستقلة **فرانسيس بيكون** رائد المدرسة الحسية الواقعية .
- وإن كان قد سبقهم **ديكارت** في نظرية فطرية المعرفة . فديكارت رائد المدرسة العقلية المثالية، الذي يقول بفطرية المعرفة.
- وبعد ذلك جاء **كانت** فحدّد طبيعة المعرفة وحدودها وعلاقتها بالوجود .
- ثم جاءت محاولة **فريبر** في القرن التاسع عشر ففصل بحث المعرفة عن بحث الوجود

نظرية المعرفة في التراث الإسلامي :

ساهم علماء المسلمين السابقين في مجال المعرفة ومسائلها من خلال مؤلفاتهم في علوم أصول الدين والفقهاء والمنطق.

ثم أفرد العلماء المسلمين مؤلفات خاصة في هذا الجانب وعلى سبيل المثال نذكر بعض منها:-

١. **القاضي عبد الجبار**، أفرد في كتابه المغني مجلداً بعنوان (النظر والمعرفة).
 ٢. **الإمام الباقلاني** قدم لكتابة التمهيد بباب في العلم وأقسامه.
 ٣. **شيخ الإسلام ابن تيمية** صنف كتاب (درء تعارض العقل والنقل) وبحث فيه العلاقة بين مصدرَي المعرفة، العقل والوحي .
- وهناك عدد من علماء المسلمين من الأصوليين والفقهاء والمتكلمين والفلاسفة وغيرهم ممن تناول موضوعاً أو أكثر من موضوعات المعرفة في كتبهم. ونجدها أيضاً في مقالات الفرق:

- ✓ ككتاب مقالات الاسلاميين **للأشعري**،
- ✓ و(الفرق بين الفرق) **للبيهقي**،
- ✓ و(المنقذ من الضلال) و(المستصفي) **للغزالي**
- ✓ وكذلك في كتاب (التعريفات) **للجرجاني**.
- ✓ **ونجد الكندي يعقوب بن اسحاق** حاول ضبط العلم والمعرفة في مؤلفاته، ومنها (رسالة في حدود الاشياء ورسومها .)
- ✓ **أبو نصر الفارابي** الذي تحدث عن العلم وحده وتقسيماته في كتاب (البرهان) وفي كتب أخرى .
- ✓ **وابن سينا** الذي تناول الإدراك والعلم واليقين في كتابه (الاشارات والتنبيهات) وفي غيرها من كتبه .
- ✓ **وابن رشد** في (تهافت التهافت).
- ✓ **والآمدي** في (الإحكام في أصول الأحكام) الذي تحدث فيه عن العلم الكلي والجزئي وغيره من المفاهيم.

مقارنة :

الملاحظ من خلال استعراضنا لتاريخ نشأة نظرية المعرفة أنها عند الفلاسفة الأقدمين، كانت مبثوثة متفرقة، في ثنايا أبحاث الوجود والقيم، بل لم يكن يجمعها كتاب واحد أو دراسة منهجية مستقلة، فقد كانت متضمنة مثلاً عند **أفلاطون** في أبحاثه في الجدل، وعند **أرسطو** في بحث ما وراء الطبيعة، دون أن يميزوا بين موضوع المعرفة وموضوع (الميتافيزيقا)، إلا أنهم بحثوا في أهم جوانب المعرفة.

- ولعل علماءنا المسلمين قد سبقوا غيرهم في أفراد بحث المعرفة بصورة مستقلة في كتبهم، لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لهم، وعلاقته بالوجود، بينما لم يبدأ أفرادها عن الفلاسفة الغربيين إلا في القرن السابع عشر، مع **جون لوك** .

مباحث (موضوعات) نظرية المعرفة:

- ١- طبيعة المعرفة: وتقوم أبحاثها على بيان طبيعة العلاقة بين الذات العارفة والشيء المعروف
 - ٢- إمكان المعرفة ويبحث في مدى قدرة الإنسان على تحصيل المعرفة. وهل يستطيع الإنسان أن يصل إلى جميع الحقائق، ويطمئن إلى صدق إدراكه وصحة معلوماته.
 - ٣- مصادر المعرفة: الحواس والعقل، وعلاقتها ببعض، وطريق الوحي عند أصحاب الأديان. وطرق أخرى كالإلهام والكشف والحدس.
 - ٤- مجالات المعرفة
 - ٥- غايات المعرفة
- وهناك أبحاث قريبة من نظرية المعرفة، قد يدمجها البعض فيها، وقد يفصلونها عنها. منها: أبحاث علم المنطق، وأبحاث علم النفس المتعلقة بمسائل التخيل والتصور والتعرف والإدراك وسائر العمليات العقلية.

إننا - على الرغم مما كتبه علماء الكلام ، وفلاسفة المسلمين ، من لمحات أحيانا وتفصيلات أحيانا أخرى ، لا نستطيع أن ندعي أن تلك اللمحات والتفصيلات ، يمكن أن تمثل النظرة القرآنية الدقيقة ، الصافية ، لنظرية المعرفة في القرآن ، إذ أن النظرة القرآنية ، وركيزتها الوحيدة ، هي القرآن نفسه . والقرآن الكريم ليس كتاب فلسفة إذا قصدنا بالفلسفة مجموعة الأفكار النابعة من العقل والمتسلسلة وفق منهج معين ، غرضها تكوين نسق من المبادئ لتفسير طائفة من الظواهر الكونية ، ولا كتب نظريات في علم المنطق ولا في المعرفة وليس كتاب أبحاث ينفصل بعضها عن بعض في قوالب البحث النظري ، سواء في مجالات علمية أو عملية ، في مجالات العلوم أو الاقتصاد أو الاجتماع أو النفس ، وبذلك المفهوم التجريدي النظري ذلك لأنه منهج رباني متكامل ، شامل وهو نسيج وحده ، لا يفیه حقه وصفه بالنظرية فهو في حد ذاته ليس نظرية ، في فن من الفنون ، وهو يتجاوز البحث النظري إلى التطبيق الواقعي ، وهو هدى ونور وشفاء للبشرية ، كي تستقيم على طاعة الله وعبادته .

(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) .

ومن ثم فإن ما نقوم به في هذه المحاضرات، ليس تقييدا للمنهج الرباني في مفهوم النظريات البشرية . نستغفر الله ، أن ندعى ذلك - بعجزنا البشري ، وبإعجاز القرآن الرباني - نستطيع أن نسمي ما نقوم به من جهد في هذا البحث ، أنه منهج القرآن . فكتاب الله لا يخلق من كثرة الرد ، وهو أعلى وأكبر من أن يتقيد بما نقوله .

- فإن مقصودنا الخاص بالنظرية في القرآن ، ليس إلا، لاستجلاء النظرة القرآنية الصافية ، ومحاولة الجمع لمادة القرآنية ، تتعلق بالعلم والمعرفة من أجل صياغة نظرية للمعرفة في القرآن وبجهد بشري
- ومع ذلك فإن القرآن لا يمنع من أن نلتمس فيه المعرفة والتربية والتوجيه ، ليؤدي دوره في حياتنا ، مع حرصنا الشديد ، على المنهج السليم ، وهو أننا : ننتقل من التصور القرآني ، فهو نقطة المنطلق والارتكاز .
- وندخل إليه بلا مقررات سابقة ، إنما منه نأخذ مقرراتنا ولا نحكم عليه بأفكار البشر ، إنما إليه نحكم أفكارنا . وننهج منهجه ، وإلا فقدنا المهمة .

- ونعتقد أنه بإمكاننا - بعون الله - أن نجتمع فنبني من القرآن نظرية في المعرفة ، نجعلها صلب جهدنا ، ومحور تفكيرنا وحكمنا ، ومقياس نقدنا للنظريات الفلسفية ، مع اعتقادنا أنه ليس كتابا للمقارنة ، وإنما لنا فيه القدوة ، حيث كشف زيف الزائفين ، ورد كيدهم ، وبما يتصل بتوضيح منهجه .
- وإنما لنعتمد بتميز النظرة القرآنية في كل مسألة ، ودقيقة من دقائق نظرية المعرفة ، مادة ، ومنهجنا ، ومنبعنا ، وطريقنا ، وطبيعة ، ومقياسا ، وقيمة وحدودا .
- كما أننا نحرص - إن شاء الله - على محاولة الألتزام بالإصطلاحات القرآنية في التعبير عن الحقيقة التي يتميز بها القرآن ، وهو متميز في كل شيء . وإنما لنستغفر الله سبحانه إذ إننا خالفنا هذا الشرط على أنفسنا ، فيما سبق أن أسمىنا به هذا البحث ((نظرية المعرفة)) ، ويشفع لنا مقصودنا وفرضنا ، وحسن النية - إن شاء الله .
- كما نناقصه من نظرية المعرفة في القرآن ، ليس كما من المعلومات ، وأنواع العلوم التي أشار إليها ، فذلك ليس داخلا في مجال هذا البحث ، وأن مانشير إليه إنما هو منارات ضوئية كافية ، لدفع الإنسان للبحث ، وفتح بصيرته على آيات الله سبحانه في الآفاق والأنفس .
- ولعلنا قصدنا ببيان مرادنا من هذا البحث ، حتى لا تكون شبهة في أننا ممن يفتنون بالنظريات الفلسفية ويهرعون إلى تطبيقها على الإسلام ، فتكون القوالب فلسفية والمادة كذلك لا صلة لها بالإسلام .
- فالمعرفة عندنا جزء من الوجود . والوجود ثابت قبل أن نتوجه لمعرفته . المعرفة هي أساس للدور الإنساني في الحياة ، إذ هي قبل كل شيء معرفة الله تبارك وتعالى ، التي تنبثق منها معرفتنا للدين ودورنا في الحياة . فالمعرفة عندنا مسلمة تسليمنا بالوجود . يكون مادة لبناء نظرية في المعرفة

- يحتوي القرآن على أسس واضحة في طرق المعرفة ، ويقول تعالى : (**وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) ويقول : (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**) .
 - مصدر هذه المعرفة أو منبعها هو الله سبحانه : (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ. اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ. الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**) . (**وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**)
 - ذكر القرآن طرق المعرفة ووسائلها : من حواس وعقل أو قلب وأضاف طريقاً فريداً ليس في طرق البشر ، وهو طريق الوحي .
 - تعرض لطبيعة المعرفة ، وأنها اكتسابية كلها : (**وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا**) ، (**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)
 - وتعرض لصور الاكتساب من تفكير وتذكير وفقه وشعور ... الخ .
 - بين مجالات هذه المعرفة : المجال الطبيعي أو عالم الشهادة ، ويدرك بالحواس والعقل ، وعالم الغيب وطريقة الوحي ، والعقل يسلم بوجوده، ويفهم وفق ما سمح الله له من طاقات ، وتفصيله غيب لا نعلمه إلا بإعلام الله لنا عن طريق الوحي .
 - كما جعلها أساساً لقيادة البشرية ، والقيام بدور الخلافة في الأرض ، وحمل أمانة الهداية والانتفاع مما في الكون مما سخره الله للإنسان (**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا**)
 - القرآن دعوة لتحرير العقل الإنساني ، من أغلال التقليد والتبعية ، القائمة على أسس الوراثة فحسب ، والتي عزلت العقل عن عمله والقلب عن فقهه . ومن ثم فهو يدعو الإنسان الى التأمل والتفكير ، ويوجه نظرة إلى الكون ، وإلى النفس ، ويمدح المتفكرين والمتذكرين وأولي الألباب ، ويشنع على الذين لا يفقهون ، ولا يعلمون ، ولا يتذكرون ، ويصفهم بعمى البصيرة أو القلوب . قال الله تعالى : (**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**) .
 - ثم جمع القرآن بين طرق المعرفة الرئيسية الثلاث معا : الوحي ، والعقل ، والحس . كما جمع بين مجالي المعرفة وهما مجالاً الوجود : الدنيا والآخرة ، أو عالم الشهادة وعالم الغيب في آية واحدة ، فقال سبحانه : (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)
 - والقرآن يقرر نسبة المعرفة الإنسانية فيقول : (**وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ**) (**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**)
 - ويجعل القرآن اليقين معياره في المعرفة ، ويرد الشك والظن ، ولا يعتبرهما علماً صحيحاً
 - (**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ**) (**وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**)
- كل هذه الأسس ، يمكن أن تكون بناءً لنظرية في المعرفة : من حيث ماهيتها ، وامكانها ومصادرها وطبيعتها وطرقها ومعيارها وقيمتها

(المذهب العقلي ، المذهب التجريبي ، المذهب الحدسي ، المذهب البراغماتي ، موقع الوحي من مصادر المعرفة)

يختص هذا المبحث بدراسة الوسيلة أو الأداة أو المصدر الذي تتم عن طريقه تشكيل المعرفة الإنسانية، عبر تحديد مصادر المعرفة (الأدوات المعرفية)، وتحديد الآليات التي تتيحها هذه المصادر للمعارف الكاشفة عن الواقع الموضوعي. وقد اختلف الفلاسفة في ذلك على مذاهب:

- فمنهم من ذهب إلى أن العقل هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم العقليون).
 - ومنهم من ذهب إلى أن التجربة الحسية هي المصدر الأول والأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم التجريبيون).
 - ومنهم من ذهب على أن الحدس والإلهام هو المصدر الأول والأساسي للمعرفة (وهؤلاء هم الحدسيون). ومنهم من جمع بينها وبين الوحي.
- والاختلاف في المصادر الأساسية للوصول إلى المعرفة، لا يعني القول بإلغاء المصادر الأخرى في حال إثبات إحداها، وإنما يعني القول بأن الأولوية في الثبوت هي لهذا المصدر أو ذلك.

أولاً: المذهب العقلي (Rationalism):

تمثل مصدرية العقل للمعرفة عند العقليين في صورتين:

- هي التي يستغني فيها العقل لتحصيل المعرفة عن أي شيء سواه، من خلال استنباط قضايا جديدة من قضايا سابقة معلومة، بقطع النظر عن الوجود الخارجي.
- ب. هي التي تفسر مصدرية العقل للمعرفة برد الحكم على الأشياء إلى مبادئ العقل الفطرية، فمادة المعرفة تكون من الإدراكات الحسية، ولكنها لا تكون معرفة علمية إلا بالاحتكام إلى العقل الذي يجعلونه مصدراً لها، وهذه المعرفة تنقسم عندهم إلى معرفة بديهية أو ضرورية تضطر النفس إلى الإذعان لها والتسليم بها دون الحاجة على النظر والاستدلال، وإلى معرفة نظرية تحتاج إلى نظر واستدلال.
- وقد اتفق العقليون على أن: العقل قوة فطرية مشتركة بين الناس جميعاً، وتصوروا أن مبادئه لا بد أن تكون كلية ومشتركة بين جميع الأذهان، وضرورية صادقة على جميع الأشياء، وأولية سابقة على كل تجربة.
- فالقول بأن (الكل أكبر من الجزء) أو (الشيء الواحد لا يمكن أن يكون موجوداً وغير موجود في وقت واحد)، كأن نقول $(2+2=4)$.
- فهذه المبادئ وغيرها مبادئ عقلية تتصف بأنها: معارف قائمة بذاتها، سابقة للتجربة وليست نتيجة لها، تتصف بالضرورة أي لا تحتاج على برهان آخر لإثباتها، ولا تختلف هذه المعارف باختلاف الناس أو بتغير الأزمنة والأمكنة، لذلك فإن هذه المعارف هي معارف أولية قائمة بذاتها.
- وهكذا، يقوم موقف العقليين على التسليم بأن للعقل مبادئ جاهزة، أو طرقاً فطرية هي التي تقوده إلى معرفة حقائق الأشياء، ومعارفه مستغنية عن أي معرفة سابقة. ولذلك، فإن الصورة المثلى عند العقليين هي تلك التي يمثلها البرهان الرياضي، فمثل هذه البراهين تبدأ بالبديهيات أو الحقائق القائمة بذاتها.
- إن العقليين لا يرفضون ما تجيء به الحواس من معارف ومعلومات (غاية ما في الأمر أنها معلومات لا يقطع بيقينها، حيث أن الحواس كثيراً ما تخدع، فأحياناً نرى شيئاً وهو خلاف ما نراه... وهي معارف تحمل الخطأ).
- فالحدس على أساس نظرية العقليين، مصدر فهم للتصورات والأفكار البسيطة، ولكنه ليس السبب الوحيد، بل هناك معارف أولية تثبت في العقل ابتداءً، وهي سابقة على الحواس ومستغنية عنها.
- فالمذهب العقلي يوضح أن الحجر الأساس للعلم هو المعلومات العقلية الأولية، وعلى ذلك الأساس يقوم البناء الفوقي للفكر الإنساني، الذي يسمى بالمعلومات الثانوية، أي المعلومات الحسية التجريبية.

-فالعقل يمتلك إزاء كافة ظواهر الوجود ومظاهره أحكاما لا تتعدى ثلاثة أحكام ممكنة، فهو (العقل) إما ان يحكم عليها بانها أكيدة وواجبة، وإما أن يحكم عليها بانها مستحيلة وممتنعة، وإما يحكم عليها بانها ممكنة وجائزة.

-فأصحاب المذهب العقلي يرون أن الحجر الأساس للعلم هو المعلومات العقلية الأولية، أي أن المقياس للتفكير البشري - بصورة عامة - هو المعارف العقلية الضرورية، فهي الركيزة الاساسية التي لا يستغني عنها كل مجال، ويجب ان تقاس صحة كل فكرة وخطئها في ضوءها. ويصبح ميدان المعرفة البشرية أوسع من الحس والتجربة.

-من اشهر الفلاسفة العقليين أفلاطون صاحب نظرية الاستدكار، وهي النظرية القائلة بأن الادراك عملية استذكار للمعلومات السابقة.

-وقد سار فلاسفة المذهب العقلي على طريق أفلاطون في اهتمامهم بالرياضيات واستخدامهم المنهج الرياضي، وعلى رأسهم أرسطو صاحب المنهج الاستدلالي في المعرفة.

-وفي العصر الحديث جاء ديكارت الذي قال (إن العقل هو اعدل قسمة بين البشر)، وتبنى الشك المنهجي منهجا للمعرفة، وكذلك اسبينوزا الذي واصل طريق ديكارت في استخدام المنهج الرياضي، والوضوح العقلي معيارا للحقيقة.

-ثم ليبنيتز الذي يرى أن جميع القضايا الصادقة يمكن معرفتها بواسطة الاستدلال العقلي الخالص، وذهب إلى أن أفكارنا تكون أصلا في أذهاننا.

-كما يعتبر كانت صاحب المذهب النقدي من العقلانيين، إذ كان يميز في المعرفة بين ما هو أولي سابق على كل تجربة، ما هو بعدي مكتسب بالتجربة، فالصورة الأولية السابقة على التجربة هي الأساس في اكتساب المعرفة

ثانيا: المذهب التجريبي (Empiricism)

هو مذهب يقول إن الخبرة مصدر المعرفة وليس العقل، والتجربة بهذا المعنى نقيض الفلسفة العقلية التي تفترض أن هناك أفكارا لا يمكن أن تزودنا بها الحواس وينشئها العقل بمعزل عن الخبرة، وتسمى لذلك معرفة فطرية أو قبلية.

وبرزت التجربة على يد جون لوك. ثم تجسدت في الوضعية المنطقية والظاهرية.

والتجريبية أو الحسية هي: (الاسم النوعي لكل المذاهب الفلسفية التي تنفي وجود معارف أولية بوصفها مبادئ معرفية).

ويقوم المذهب التجريبي في المعرفة على أساس أن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف الإنسانية، وأن الحواس وحدها هي أبواب المعرفة، فليس في العقل شيء لم يمر بالحس أولا، وينكر التجريبيون أن يولد العقل مزودا بأفكار فطرية كما يزعم العقليون.

تبنى المعارف عند التجريبيين على الظواهر الحسية؛ لأنها المقياس الصحيح في بت الحكم. وليس هناك معرفة فطرية أولية سابقة على التجربة، وليس هناك ضرورة عقلية كما يسير عليه المذهب العقلي.

فالتجريبيون لا يعترفون بمعارف عقلية ضرورية سابقة على التجربة، ويعتبرون التجربة الأساس الوحيد للحكم الصحيح، والمقياس العام في كل مجال من المجالات.

يعتمد المذهب التجريبي على الطريقة الاستقرائية في الاستدلال والتفكير، لأنها طريقة الصعود من الجزئيات على الكليات.

وإذا كان العقليون اهتموا بالمعارف الرياضية التي تقوم على العقل، فقد اهتم التجريبيون بالعلوم الطبيعية التي تقوم على التجربة، وأنكروا قدرة العقل على أن يضمن لنا صدق القضايا التركيبية التي توضح لنا طبيعة العالم.

فالمذهب التجريبي يتلخص في أن المعرفة الإنسانية هي معرفة بعدية، أي تأتي في مرحلة تالية أو متأخرة عن التجربة الحسية، فالعقل يستمد خبراته ومعلوماته من التجربة وحدها.

ومن اشهر الفلاسفة التجريبيين جون لوك الذي حاول في كتابه (مقالة في التفكير الانساني) أن يرجع جميع التصورات والافكار على الحس. وهو (أول من طبق الاتجاه التجريبي في الفلسفة) الغربية واعلن رفضه لأهم مبادئ الاتجاه العقلي، وإنكاره أن تكون المعرفة الانسانية اولية في العقل، سابقة على التجربة.

وكذلك جورج باركلي الذي كان يرى بان أفكارنا هي ذاتها العالم الخارجي، ولم يعترف إلا بما يظهر لنا من الأشياء من خلال إدراكنا الحسي لها.

ثم ديفيد هيوم الذي اعتبر ان كل المعارف هي ذات أصول حسية، حتى المعارف العقلية هي ذات أصول حسية، وقد أنكر الميتافيزيقا، واعتبر أن وجودها يكون حقيقيا في حال احساسنا بالقضايا المتعلقة بالقضايا المتعلقة بها

ثالثاً: المذهب الحدسي (Intuitionism):

وهو مذهب من يرى أن للحدس المكان الأول في تكوين المعرفة، ولهذا الحدسية معنيان:

أ. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن المعرفة تستند إلى الحدس العقلي.

ب. إطلاقها على المذاهب التي تقرر أن إدراك وجود الحقائق المادية هو إدراك حدسي مباشر، وليس إدراكاً نظرياً.

يقول بروور في وصف هذا النوع من الإدراك: (إن الإنسان لديه ملكة مستقلة تمكنه من فهم الحقيقة وإدراك الواقع مباشرة، وهذه الملكة ليست حسية ولا عقلية وإنما هي حدسية مباشرة).

والحدس عند **ديكارت** هو: (الإطلاع العقلي المباشر على الحقائق البديهية).

وعند **كانت** هو: (الإطلاع المباشر على معنى حاضر بالذهن، من حيث هو حقيقة جزئية مفردة).

والحدس عند **هنري** هو: (الحكم السريع المؤكد، أو التنبؤ الغريزي بالوقائع والعلاقات المجردة، وهو الذي يكشف لنا عن العلاقات الخفية).

وتعتبر **الأفلاطونية** المحدثه المنسوبة إلى أفلوطين رائدة الفكر الحدسي في المعرفة، فالمعرفة عندهم قائمة على الفيض والإشراق، ولا يمكن للإنسان أن يصل على المعرفة الحققة الا عن طريق مداومة التأمل ورياضة النفس.

وأفضل من يمثل المذهب الحدسي الفيلسوف الفرنسي **هنري برجسون**، الذي تأني فلسفته كرد فعل على النزعة المادية والاتجاه العلمي الذي شاع في أوروبا

في القرن ١٩ ميلادي . حتى أوشك هذا الاتجاه أن يطغى على كل اتجاه روحي ... فالعقل عاجز عن إدراك الموضوع في صيرورته وديمومته، وهو لا يفهم

حق الفهم إلا الأمور الجامدة التي تقبل القياس. أما الحدس فيتابع الموضوع في صيرورته، ويكشف عن حقيقته، ويحيط به في كليته.

وحسب **برجسون** فإن الحدس مشاركة وجدانية تنتقل عن طريقها إلى باطن الموضوع، لكي تندمج مع ما في ذلك الموضوع.

وقد جعل **برجسون** الحدس هو مصدر المعرفة الحقيقي للواقع. وهو اقرب للكشف الصوفي.

وإذا كان **برجسون** تبنى الحدس وجعله مصدراً للمعرفة الحقيقية للواقع في الفلسفة الغربية فإن متصوفة المسلمين قد تبنوا الإلهام مصدراً للمعرفة وسبقوا بذلك

فلاسفة الغرب في تبنيهم للحدس. ذهب **برجسون** إلى أنه بالإضافة إلى العقل الذي توهم أنصاره أنه يقدم لنا المعرفة برمتها توجد ملكة أخرى للمعرفة؛

وهي من قبيل التجربة الوجدانية، سماها الحدس **Intuition**

يقصد بالحدس عدة معانٍ متباينة:

الحدس الحسي: هو الإدراك المباشر عن طريق الحواس الإنسانية، مثل إدراك الضوء والروائح المختلفة.

الحدس التجريبي: الإدراك المباشر الناشئ عن طريق الممارسة المستمرة، مثل إدراك الطبيب لداء المريض من مجرد المشاهدة .

الحدس العقلي: الإدراك المباشر - دون براهين- للمعاني العقلية المجردة التي لا يمكن إجراء تجارب عملية عليها، مثل إدراك الزمان والمكان .

الحدس التنبؤي: يحدث أحياناً في الاكتشافات العلمية أن تكون نتيجة لمحة تطرأ على ذهن العالم بعد طول التجارب

المذهب البراغماتي: (Pragmatism)

تطلق الفلسفة البراغماتية على مجموعة من الفلسفات المتباينة إلى حد ما، والتي تركز جميعها على مبدأ مؤداه أن صحة الفكر تعتمد على ما يؤدي إليه

من نتائج عملية ناجحة، وكان الفيلسوف الأمريكي **"تشارلز ساندرز بيرس"** هو أول من استخدم اسم البراغماتية وصاغ هذه الفلسفة.

والبراغماتية (الذرائعية) مذهب فلسفي يرى أن معيار صدق الأفكار هو في عواقبها العملية، فالحقيقة تعرف من نجاحها. و يفسر النجاح بصورتين:

١- النجاح بمعنى المنفعة الشخصية ضمن نظام معين، فتكون الكذبة الناجحة حقيقة، وفي ظل هذه الصورة تتخذ الذرائعية مظهر السفسطة.

٢- النجاح بمعنى التطبيق العملي والعلمي الذي يتوافق مع قوانين الطبيعة، فنقر بحقيقة قانون أو نظرية إذا حقق تطبيقات عملية، وبهذا المعنى تقترب

البراغماتية من العقلانية.

ومن الفلاسفة الذين أذاعوا صيت المذهب البراغماتي الفيلسوف الأمريكي **وليم جيمس**. يقول جيمس: الحق يقوم فيما هو مفيد (نافع) للفكر، كما أن

العدل يقوم فيما هو نافع للسلوك، وأقصد بمفيد أنه: **مفيد بأية طريقة، مفيد في نهاية الأمر في المجموع**، لأن ما هو مفيد للتجربة المقصودة الآن لن

يكون كذلك بالضرورة وبنفس الدرجة بالنسبة إلى تجارب لاحقة.

موقع الوحي من مصادر المعرفة

دأب دارسو نظرية المعرفة . فلسفياً أو علمياً . **على حصر مصادرها** في (الحس والعقل) كما دأبوا على استعراض الصراع الفكري والجدلي بينهم في أن المصدر هو الحس فقط أو هو العقل فقط أو هما معاً . وكان هذا لأنهم استبعدوا الفكر الديني أو المعرفة الدينية من مجال دراساتهم . ولأنا نؤمن بالدين الإلهي تتربع المصادر لدينا كالتالي: (الوحي ، والعقل ، والحس ، والإلهام أو الحدس).

إنّ المعنى الاصطلاحي الذي نقصده ونهدف إليه من الوحي هو ما يلقيه الله إلى أحد أنبيائه ورسله؛ نحو إنزاله القرآن على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنزاله الإنجيل على سيدنا عيسى وإنزاله التوراة على سيدنا موسى وإنزاله الزبور على سيدنا داود عليهم السلام .

وإذا اقتصرنا على ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم فإننا نجد أنّ **الوحي ينقسم إلى قسمين هما :**

- ١ . القرآن الذي أنزل عليه بلفظه ومعناه كما سيأتي .
- ٢ . السنة التي أوحيت إليه من الله بمعناها وإن كان اللفظ من قبله

أولاً: ضرورة الوحي:

وتتجلى ضرورة الوحي مصدراً للمعرفة في ما يلي:

- ١ . أن الوحي ممكن في نظر العقل: لأن العقل ذاته يسلم بأنه محدود بعالم الشهادة وقوانينها، ولا يستطيع إنكار ميدان آخر وطريق آخر للمعرفة، كما ان العقل من خلال قوانينه يحكم بوجود عالم الغيب.
- ٢ . لا كفاية في العقل: لأن العقول قاصرة عن إدراك مختلف جوانب ومجالات الحياة والكون.

ثانياً: الحاجة للوحي:

- ١ . الحاجة إلى الوحي في الاعتقاد.
- ٢ . الحاجة على الوحي في التشريع.
- ٣ . النبوة فيها حجة على الخلق.

مقدمة ، مذهب الشك ، موقف الفكر الإسلامي من الشك المذهبي ، مذاهب اليقين ، المذهب النسبي
السؤال عن إمكان المعرفة هو سؤال عن جوهر المعرفة ومضمونها، وهو الحقيقة - أي هل يمكننا أن ندرك الحقيقة؟ وهل المعرفة ممكنة؟ وهل في وسع
الإنسان أن يعرف شيئاً؟

إن مسألة إمكان المعرفة لم تكن مطروحة في الفكر البشري قديماً. وكان أول من بدأ البحث في مسألة إمكان المعرفة هم الفلاسفة اليونان، وتحديدًا الذين
عرفوا بالسفسطائيين أو الشكاك. وهؤلاء الفلاسفة (كانوا ينكرون قطعية المعارف الانسانية، وقد تطور الشك إلى أن أصبح مذهباً من المذاهب، وقد بلغ
اشده على يد **بيرون**، صاحب المذهب الشكي عند اليونان، حتى أنه لقب بإمام الشكاكين).

-أما فلاسفة المسلمين ومتكلموهم، فقد (بحثوا في إمكانية المعرفة، وقد جعلوا مداخل كتبهم في العلم، وفي إثبات العلم والحقائق. وكان مسألة الإمكان
أصبحت ضرورة تسبق بقية أبحاث المعرفة، ذلك لأنه -في نظرهم- لا بد من التسليم بإمكان المعرفة حتى يتسنى البحث في بقية مسألتها، إذ أن من ينكر
إمكان المعرفة لا يستطيع أن يتحدث عن طبيعتها ومصادرها، وإن الذي يتيقن من إمكان المعرفة يحق له أن يبحث في كافة موضوعاتها).

إن خير ما يدل على نظرة إمكان المعرفة ويقينيتها دعوتهم إلى عدم مناظرة السوفسطائيين ومجادلتهم، لأن من لا يعلم مدى إمكانية صحة كلامه في
المناظرة، فكيف سيتم حوار. **يقول الإيجي:** (المناظرة معهم قد منعها المحققون؛ لأنها إفادة المعلوم بالمجهول، والخصم لا يعترف بمعلوم حتى تثبت به مجهولاً).

ويمكن تحديد ثلاثة اتجاهات أساسية عند الحديث عن مسألة إمكان المعرفة:

- ١- فريق شك شكاً مطلقاً في إمكان المعرفة. ٢- فريق يرى يقينية المعرفة، وهم الاعتقاديون أو الدغمائيون.
- ٣- فريق ثالث يرى أنه بإمكان الإنسان أن يصل على معرفة متناسبة مع قدراته الحسية والعقلية، وهم النسبيون .

مذهب الشك في إمكان المعرفة (Skepticism):

١. الشك المطلق:

بالرغم من أن الشك في أصله هو التردد في إصدار حكم بغرض الإمعان والتفحص، وهو ما يطابق معنى اللفظ اليوناني. إلا أن الشك القديم لم يكن
يحمل هذا المعنى كما أنه اتخذ معنى جديداً في وقت لاحق.

فالصراع والتضارب بين المتناقضات الفلسفية في الفكر اليوناني كان سبباً لبلبله فكرية وارتياب جذري، انتهت بهم على إنكار جميع الركائز الفكرية
للإنسان، وإنكار المحسوسات والبداهيات.

وأول من ظهر على يديه هذا المذهب هو **بيرون أو فيرون (Pyrrhon)**. وقد وضع **جورجياس (٣٨٠ ق.م)** كتاباً تحدث فيه عن عدم إمكان المعرفة،
وعدم الوثوق بالعقل والحواس.

ثم جاء **السوفسطائون** وأنكروا وجود مقياس ثابت للحقائق، ورأوا امتناع وجود حقيقة مطلقة، وشكوا في كل شيء. وتحوّلت السفسطة على عبث بالفكر
والعلم. وكانت هذه الطائفة تؤمن بالبحث والجدل، وأحياناً يصل بهم الجدل على إنكار أنفسهم أيضاً.

فعاشوا تناقضاً بين وجودهم وتصوراتهم، ففي الوقت الذي ينكرون فيه كل حقيقة، تجدهم يلبون حاجتهم البيولوجية دون ان ينكروا ذلك.

-وهذه المدرسة تنكر إمكان معرفة طبيعة الأشياء، وترى أن المعرفة الحسية والعقلية ليس لها قدرة تعريفنا بالحقيقة وإيصالنا إليها، فنحن لا ندرك من الأشياء
إلا ما (يبدو) لنا - وكأن الأشياء خارج الذات المدركة محض مظهر، أما إدراك طبيعة ذوات الأشياء فلا سبيل إليه.

ذلك لأن المعرفة - في رأي هذه المدرسة - تتأسس على الإدراك الحسي، والحواس خادعة لا تقود إلى معرفة يقينية؛ وحتى النظر العقلي - عند الفيرونيين -
يتأسس على الحس فمعرفة حسية غير مباشرة ومن ثمّ يكون أولى أن ينطبق عليه ما ينطبق على الحس من حيث عدم يقينية المعرفة.

ولذلك كان شكهم شكاً مذهبياً (مطلقاً)، بمعنى انه يقوم على اساس أن الشك غاية في ذاته.

٢. الشك المنهجي:

(الذي لا يعتبر الشك غاية في ذاته، بل يعتبر الشك وسيلة ليتوصل من خلاله إلى غاية أخرى وهي بلوغ اليقين).

ويرجع هذا الشك في جذوره التاريخية إلى الفيلسوف اليوناني **سقراط**. كما استخدم **أرسطو** ومدرسته المشائية الشك استخداماً منهجياً تأثراً بسقراط. إذ رأى أن اليقين المنطقي يجب أن يقوم على الشك كمنهج في فحص الأفكار والتأكد من قابليتها للتعميم. وعرف الشك المنهجي في حقل المعرفة الإسلامية عند المعتزلة، إذ كانوا يشترطون الشك كمقدمة ضرورية لصحة النظر المؤدي إلى العلم، إذ لا يصح النظر عندهم إلا مع الشك.

أما **أبو حامد الغزالي** فقد سلك طريق الشك بحثاً عن اليقين، وقد قرر في كتابه (المنقذ من الضلال) أن من لم يشك لم ينظر، ومن لم ينظر لم يبصر، ومن لم يبصر بقي في العمى.

وكان **ديكارت** من أكثر الفلاسفة تأكيداً على ضرورة الشك كمنهج في التفكير، وهو إلى جانب الغزالي يعتبران واضعي أسس الشك المنهجي، وكان هذا الشك هو التمهيد الضروري للمنهج. ويعتبر الفيلسوف التحريبي **ديفيد هيوم** من فلاسفة الشك المنهجي، الذي سماه بالشك العلمي.

خلافاً لأصحاب الشك المطلق الذين يقعون في الحيرة فيمتنعون عن إصدار الأحكام، فإن أصحاب الشك المنهجي قد اتخذوا من الشك سبيلاً إلى اليقين، وهو عملية اختيارية هدفها إفراغ العقل مما فيه من معلومات سابقة قد تكون عرضة للمغالطة وعدم التأكيد، وذلك لتهيئة العقل لدراسة الأمور دراسة موضوعية غير متأثرة بالمفاهيم الشائعة والأخطاء المألوفة.

القيمة العلمية للشك المنهجي:

بعد أن تلاشى الشك بوصفه نظرية في المعرفة توطدت أركان الشك بوصفه منهجاً للبحث والتدقيق في المعرفة، وتمدد بأدواته من الشك المعرفي (الشك الإبستمولوجي)، بوصفه موضوعاً فلسفياً إلى شك منهجي يحفز الإنسان للبحث، والنظر، والتدقيق؛ ليشمل العلوم النظرية والتحريبية كافة، سواء تلك التي تولدت عن الفلسفة، واستقلت عنها، أو تلك التي نشأت مستقلة بذاتها.

مجالات الشك:

بمراجعة نوعي الشك (مطلق - منهجي) تبين لنا أن الشك المطلق هو شك في أصل المعرفة وإمكانيتها لذا يُسمى (بالمعرفي) لإنكاره إمكان المعرفة أو (الفلسفي والمذهبي) لكونه مذهباً فلسفياً يعتقد صاحبه بانتفاء موضوع المعرفة، واستحالة إدراكها، -وفي مقابله نشأ الشك المنهجي بوصفه منهجاً للبحث عن الحقيقة لذا سُمي أيضاً (بالعلمي) وهو لا ينتقص من يقينية أصحابه بوجود حقيقة يمكن معرفتها، ومن هذه العلاقة الجدلية بين الإطلاق والنسبية يثور التساؤل حول المجالات التي يمكن أن يتطرق إليها الشك، بل التي طرقها بالفعل. ومجالات الشك تختلف في دائرة الشك المطلق عنها في دائرة الشك النسبي (المنهجي).

مجالات الشك المطلق:

أ- الشك في الحقيقة التي هي موضوع المعرفة، وهو شك في وجودها. ب- الشك في إمكان معرفة الحقيقة (إن وجدت).

ج- الشك في إمكان إبلاغ المعرفة أو تداولها.

مجالات الشك النسبي: بعد التسليم بوجود حقيقة وإمكان إدراكها لها، يظل الباب مفتوحاً لألوان من الشك النسبي أو الجزئي ومن ذلك:

أ) الشك في طبيعة المعرفة: ومصدره تباين المذاهب في تكييف طبيعة المعرفة مما يوقف الفلاسفة موقف الشك تجاه هذا التباين.

ب) الشك في مصادر المعرفة: فإنكار كل مذهب ومدرسة فلسفية لمصدر أو أكثر من مصادر المعرفة هو شك في جدوى هذا المصدر، ومدى يقينية المعرفة المتأسسة عليه، فمن أصحاب المذاهب من يصب شكه على الحواس، ومنهم من يشك في العقل، ومنهم من يشك فيما سوى الحدس والإشراق، وكل ذلك من صور الشك.

ج) الشك طريق إلى اليقين: وهو شك في المعلومات والآراء المسبقة، وهدفه إفراغ العقل توطئة لإعمارها بحقائق يقينية تتأسس على بديهيات أولية، وهذا هو الشك الذي عاشه الغزالي. وحالة إفراغ الذهن أيضاً مرّ بها ديكارت حتى استقر على نقطة من اليقين في حقيقة تفكيره التي أسس عليها حقيقة وجوده (أنا أفكر إذن أنا موجود).

د) تأسيس العقيدة بين الفطرة والشك والنظر:

وهدف هذا الشك ومجاله ليس المعرفة النظرية، وإنما تأسيس إيمان يقيني بالله. **فالإمام الجويني** يرى أن أول واجب على المكلف هو النظر - وهو رأي **المعتزلة** - بينما يرى **الإمام الإبجي** أن المعرفة تتقدم وطريقها النظر ومن ثم يكون واجباً، ولكن الإبجي لا يرى النظر هو السبيل الوحيد إلى المعرفة فقد تحصل بالإلهام، والتصفية، والتعليم، ولكنه قد يكون السبيل الوحيد لمن وقع في الشك، والشك على العموم حالة طارئة لا يلزم سبقه لكل نظر أو معرفة. -**أما شيخ الإسلام ابن تيمية** فيرى أن للفطرة أثراً أساسياً في معرفة الله، ثم من حصل له الشك ولم يكن من سبيل لدفعه سوى النظر؛ يلزمه النظر -فالشك إذن تتعدد صورته ومجالاته من كلي إلى جزئي، ومن مطلق إلى نسبي، فيصل في قيمته إلى درجة إنكار الحقائق الموضوعية، وفي أدنى منازل يكون شكاً في وسيلة من وسائل تحصيل المعرفة أو أداة من أدواتها، ويتلون اسمه بحسب نوعه ومجاله فالمتعلق بأسس الاستنباط يكون منطقياً، وربما كان جزئياً متعلقاً بالأسس المعرفية كالتجريبي، وغير ذلك من الأنواع.

الشك المطلق هو الشك المبني على إنكار المعرفة اليقينية، ونفي الحقائق، والقول بتكافؤ الأدلة، ومن ثم تعليق إصدار الأحكام. وهذه الصورة من الشك وصلت إلى مفكري الإسلام إثر حركة الترجمة مثلما وصلت إليهم ردود سقراط، وأفلاطون، وأرسطو على هؤلاء الشكاك والمغالطين، وفي إطار التفاعل مع تراجم الفلسفة اليونانية:

الحديث عن موقف الفكر الإسلامي من الشك المطلق، هو حديث عن الموقف من إمكان المعرفة - بالضرورة - لطبيعة العلاقة بين الشك المطلق وإمكان المعرفة، أو لكونهما على النقيض فإثبات أحدهما نفي للآخر.

الوجود وإمكان معرفته (التصور الإسلامي للموجودات): إذا كان الشكاك الأوائل قد وصل بهم أمر الشك المعرفي إلى حد إنكار الوجود نفسه والأشياء وإمكان إدراك طبيعة ذوات الأشياء، فإن الفكر الإسلامي يقف موقفاً مغايراً لهذا التصور، إذ يقرر استناداً إلى القرآن وجوداً مستقلاً للأشياء خارج نطاق الذات المدركة .

فهذا الخلق الرباني موجود من حولنا أحاط به إدراكنا أو لم يحط، أما التقسيم اليوناني للأشياء إلى: فيزيقية (طبيعية). و ميتافيزيقية (ما وراثية أو ما وراء الطبيعية). فلا يبعد كثيراً عن التصور الإسلامي مع خصوصية المعاني والمفردات

حيث تنقسم الأشياء إلى: ١- عالم الشهادة: ويشبه مفهوم عالم الطبيعة الخاضع لإدراك الإنسان بالحس والتجربة، والشهادة هي الخبر القاطع.

٢- عالم الغيب: ويشبه مفهوم العالم الماورائي، وهو ما غاب عن الإنسان، ولم يدركه بحسه، وإنما بإخبار من الله ورسوله.

ولفظ الغيب والشهادة - مع تقابل المعنى وردا تجاوراً في كتاب الله في عشرة مواضع، وجميعها وردت في بيان اختصاص الله تعالى بالعلم المطلق (غيب وشهادة). والمعرفة الكلية لا يتاح لبشر من خلقه أن يحيط بها على وجه الشمول واليقين.

٢- الأساس القرآني لإمكان المعرفة:

القرآن يحمل الشواهد التي تؤكد على إمكان المعرفة وإدراك الحقائق على وجه اليقين، بمصادر وأدوات، ونقف هنا على شواهد من الآيات التي حملت ألفاظاً ذات دلالات معرفية في سياقها المصطلحي ممثلين بآية واحدة لكل لفظ من ألفاظ (المعرفة) و (العلم) و (الحكمة) و (اليقين)، ومن ذلك قوله تعالى: (وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً) [النجم: ٢٨]. ذلك مما ورد في شأن المعرفة والعلم، وفي شأن الحكمة قال تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا) [البقرة: ٢٦٩]. والحكمة قد فسرها المفسرون (بإصابة الحق والعمل به). وفي شأن اليقين وتناقضه مع الظن يقول تعالى: (وإذا قيل إن وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين) [الجاثية: ٣٢].

كذلك أبان القرآن العلاقة بين الشك واليقين، والعلم والظن في مقابلة بليغة حوتها آية واحدة في قوله تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيمًا) [النساء: ١٥٧].

وإذا استصحبنا تداخل المعاني بين ألفاظ المعرفة، والحكمة، والعلم في النصوص الشرعية، والفكر الإسلامي عموماً، علمنا أن القرآن يحض على طلب العلم الراسخ والمعرفة اليقينية، ويدعو إلى نبذ الظنون، والشك، والتوهم ما أمكن ذلك، والنصوص الحاضرة على العلم، والتفكير، والتأمل كثيرة في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ﷺ، ومن أدوات المعرفة التي أشادت بها النصوص (الاجتهاد في الرأي) و(الاستنباط) المبني على أسس النصوص وأصولها، والصادر ممن هو أهل لذلك، فقد قال تعالى ناسباً إلى الأئمة المجتهدين القدرة على معرفة مراده.